تخريج
قراءات فتح القدير

خادم أهل القرآن الكريم / الشيخ
إيهاب فكري
مدرس القرآن والقراءات بالمسجد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تخريج
قراءات فتح القدير

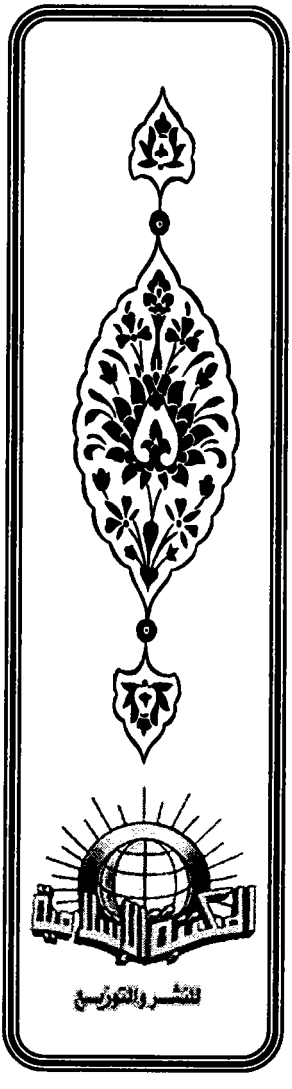

حقوق الطبع محفوظة

الترقيم الدولي

978-977-6241-80-0

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٠١٧٢

التاريخ: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

المكتبة الإسلامية

- الإدارة والفرع الرئيسي:

٣٣ ش صعب صالح- عين شمس الشرقية- القاهرة- جمهورية مصر العربية

ت وفاكس: ٤٩٩١٢٥٤ /٤٩٠٠٦٠٦/٤٩٠٠٨٠٨

- فرع الأزهر: ١ش البيطار خلف جامع الأزهر- درب الأتراك - ت: ٥١٠٨٠٠٤

E-mail : islamya٢٠٠٥@hotmail.com

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد..

فإن لهذا الكتاب قصة طريفة؛ إذ كان تأليف هذا الكتاب هو السبب في اهتمامي بدراسة هذا العلم الشريف -علم القراءات القرآنية - فقد تقدمت للدراسة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وقُبِلتُ في الصف الأول، وكان من المواد المقررة في هذه الكلية دراسة بعض السور من تفسير الإمام الشوكاني «فتح القدير»، ثم حالت ظروف عملي دون إكمال الدراسة بالكلية المذكورة، لكنني تعلقت بهذا التفسير؛ فقد كنت أدرس تفسير الإمام ابن كثير من خلال الدروس العامة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وأعود للاطلاع في هذا التفسير حتى أكمل بعض الفوائد منه، وكانت تقابلني بعض القراءات القرآنية التي تنسب إلى أئمة مشهورين من القراء السبعة وغيرهم فكنت أستخرج هذه القراءات؛ لأتأكد من صحة نسبتها إلى من نسبها إليهم الإمام الشوكاني، وكنت أعرض هذه القراءات التي أستخرجها على الشيخ أحمد المعصرواي شيخ المقارئ المصرية حاليًا فيذكر لي ما هو منها متواتر وما هو منها شاذ، وأذكر من القراءات التي مرت علي وكنت أستغرب نسبتها للإمام ابن كثير المكي قوله تعالى: ﴿فإما منًّا بعد وإما فداء﴾ فقد ذكر الإمام الشوكاني أن ابن كثير يقرأها بالقصر؛ أي: ﴿فإما منَّا بعد وإما فدىً﴾ وأذكر أنني حينما

عرضت هذا الكلام على الشيخ أحمد المعصرواي نفى أن تكون هذه قراءة ابن كثير، فدفعني هذا إلى استخراج القراءات من التفسير وبحثها؛ لأن ما أشكل علي منه سيشكل على غيري بلا شك ممن لم يدرسوا القراءات دراسة كافية وقد دعاني هذا للاهتمام بهذا العلم، وعندما أتيحت الفرصة لي لتحصيل هذا العلم مع شيخنا العلامة الدكتور محمد عيد عابدين -عليه رحمة الله- بادرت بدراستها، ثم رأيت أن أجمع تخريج القراءات المذكورة في فتح القدير وتبيين حكمها من جهة التواتر وغيره؛ لأنه قد اتضح لي أن الإمام الشوكاني قد ينسب القراءات في تفسيره على طريقةٍ تحتاج إلى إعادة ضبط لما يذكره؛ فمن ذلك:

١ـ أنه ينسب إلى بعض القراء من أصحاب القراءات المتواترة أحرفًا شاذة عنهم، فيظن القارئ أن هذه قراءة متواترة كما ذكرت في المثال السابق في قراءة ابن كثير.

٢ـ أنه أحيانًا لا ينسب القراءة بالمرة لأحد، بل يذكر أن الآية فيها قراءتان دون تفصيل، فيشكل على القارئ هل هذا الخلاف يدخل تحت المتواتر أم لا؟

٣ـ أنه قد ينسب القراءات إلى أصحابها نسبة غير صحيحة فينسب للقارئ ما لم يقرأ به بل يقرأ به غيره من القراء.

٤ـ أنه لا يستوفي ذكر أصحاب القراءات المتواترة عند ذكر القراءات فأحببت أن أستوفي هذا.

٥ـ أنه لا يستوفي ذكر القراءات في بعض الآيات فيذكر أن في الآية قراءتين ويكون فيها أكثر من ذلك.

٦ـ أنه لا يفصل في القراءات الشاذة بين ما رواه القراء بإسناد متصل إلى زماننا وغيرها؛ فيفوت على القارئ معرفة صحة هذه القراءات الشاذة

وصلاحيتها للحجة في اللغة والنحو على أقل تقدير.

٧ـ أنه يرد بعض القراءات السبعية بدعوى عدم تواترها ومخالفتها للنحو، وقد يوقع هذا إشكالًا عند غير المتخصصين وكان ينبغي عليه أن يرجع لأهل هذا العلم حتى يتبين له صحة تواتر القراءات السبعة وتوافقها مع اللغة.

ولذلك فقد رأيت أن أخَرِّج هذه القراءات حتى لا يتعرض غيري لما تعرضت له في دراستي لهذا التفسير أو أي تفسير آخر.

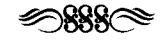

منهج العمل في الكتاب واصطلاحات المحقق

عملي في تخريج القراءات التي أوردها الإمام الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» هو تبيين حكم القراءات المذكورة من جهة الإسناد والنقل، وأكتفي في معظم الأحوال بكلام الإمام الشوكاني في إيضاح قوتها من جهة اللغة والنحو، ومن المعلوم أن حكم القراءات من جهة ثبوتها هو:

١ـ القراءات السبع وقد نقل الإجماع على ثبوتها كثير من الأئمة.

٢ـ القراءات الثلاث المتممة للعشر، وهي متواترة عند القراء، والمفروض أنهم المرجع في هذا الشأن الذي ينبغي الرجوع إليه؛ لأن كل علم أولى الناس به هم أهله.

قال الإمام ابن الجزري في كتاب «النشر في القراءات العشر»[(١)]:

(قلت): و حكى أبو القاسم الهذلي عن مالك؛ أنه سأل نافعًا عن البسملة فقال: السنة الجهر بها، فسلم إليه وقال: كل علم يسأل عنه أهله.

كما أنها متواترة كذلك عند كثير من علماء الأمة.

٣ـ القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة وهي شاذة عند القراء لكنهم ينقلونها بالإسناد المتصل إلى زماننا هذا عن أصحابها، وهي قراءة ابن محيصن المكي والأعمش الكوفي والحسن واليزيدي البصريين.

٤ـ القراءات الشاذة الأخرى وهي خاضعة للبحث عن أسانيدها ورواتها فقد تكون صحيحة وحسنة وضعيفة، بل وموضوعة كما ذكر ابن الجزري عن القراءة التي تعزى لأبي حنيفة: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ بنصب لفظ

---

(١) (١/ ٣٠٩).

الجلالة ورفع ﴿العلماء﴾، كما ذكر ذلك في «النشر»[1]، وكما ذكر ضعف قراءة ابن السمال في «طبقات القراء» في ترجمته.

فالقراءات العشر حجة في القراءة بها والاحتجاج في العقيدة والفقه واللغة والنحو.

وأما القراءات الشاذة فما صح منها فهو حجة باتفاق في اللغة، وأما في غير اللغة فقال الإمام ابن الجزري في كتاب «النشر في القراءات العشر»[2]:

واختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في الصلاة، فأجازها بعضهم؛ لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة، وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد. وأكثر العلماء على عدم الجواز؛ لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، أو أنها لم تنقل إلينا نقلًا يثبت بمثله القرآن، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة، كل هذه مآخذ للمانعين، وتوسط بعضهم فقال: إن قرأ بها في القراءة الواجبة وهي الفاتحة عند القدرة على غيرها لم تصح صلاته؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل؛ لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل؛ لجواز أن يكون ذلك من الحروف التي أنزل عليها القرآن اهـ.

وأما في الفقه فيحتج بها بعض المذاهب كالأحناف والحنابلة ولا يحتج بها آخرون كالشافعية.

---

(١) (١/ ١٦).

(٢) (١ / ٢٥).

فالمنهج في عزو القراءات هو استيفاء ذكر القراءات العشر المتواترة، ولذلك فقد اهتممت بعزو القراءات العشر ثم الأربع؛ لأنها ثابتة عن القراء، أما القراءات الشاذة فلم أعلق على أسانيدها إلا قليلًا؛ لأن جمهور المفسرين يكتفون بذكرها دون أسانيد فأكتفي بالقول:

قراءة شاذة ذكرها ابن حيان في «البحر المحيط» أو ابن جني في «المحتسب» أو القرطبي في «تفسيره».

وليس عند أغلب المفسرين ما عند أغلب أهل الحديث من التحري في الأسانيد، خاصة أن كثيرًا من أهل الحديث لا يقبل المرسلات والبلاغات مما يقبلها غيرهم من المفسرين والفقهاء، وإنما اقتصرت على ذلك خشية الإطالة؛ ولذا فتركيزي أساسًا على القراءات العشر فأقول مثلًا تعليقًا على قول الإمام: «قرأ الجمهور».

قرأ فلان وفلان من العشرة كذا والباقون قرءوا كما ذكر الإمام، فلا أعيد لفظ العشرة على أساس أنهم يدخلون في كلمة الجمهور.

وإذا قلت: «قراءة أهل المدينة» فالمقصود بها من العشرة نافع وأبو جعفر، أو «قراءة أهل الكوفة» فالمقصود به عاصم وحمزة والكسائي وخلف، أو «قراءة أهل البصرة» فالمقصود أبو عمرو ويعقوب، أو «قراءة أهل الحرم أو الحجاز» فنافع وأبو جعفر وابن كثير، ثم أقول: ذكرها في «الإتحاف» عن فلان من أصحاب القراءات الأربع الشواذ أو لم يذكرها حتى تتبين رتبتها؛ لأن ذكرها يفيد أنها أعلى شأنًا من الشواذ الأخرى؛ لثبوت إسنادها واتصاله إلى زماننا هذا عن القراء، وعدم وجودها في «الإتحاف» لا ينفي وجودها ولكن تكون من القراءات الشاذة التي لا ينقلها القراء في عصرنا؛ فنحتاج إلى النظر في إسنادها على طريقة المحدثين.

والمقصود بقولي: البحر «تفسير البحر المحيط» لابن حيان، وبالإتحاف كتاب «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي البنا.

ومعنى قولي: إن القراءة مخالفة للرسم: هو أنها مخالفة لرسم المصاحف التي كتبها الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه وأرضاه- وأجمع عليها الصحابة في عصره فهي سنة راشدة وإجماع متحقق، واصطلح أهل العلم والقراءات على تسمية هذا الرسم بـ«الرسم العثماني» مع التذكير بأن الكتابة في ذلك الوقت كانت بالخط الحجازي وهو أصل الخط الكوفي المعروف لدينا ولم تكن منقوطة ولا مشكولة لتحتمل أوجه القراءات.

ولا يعني سكوت المحقق على نسبة االقراءات الشاذة لأهلها أنه تحقق من صحة إسنادها؛ لأن الكثير منها بدون إسناد متصل، وبعضها بغير إسناد أصلًا، وإنما تم الحكم عليها بالشذوذ؛ لأنها مخالفة لما يقرأ بإسناد متواتر متصلًا أداءً في عصرنا.

وأذكر أن عزو القراءة الشاذة لكتاب «إتحاف فضلاء البشر» يعني صحة إسنادها لمن قرأ بها، بل يعني أكثر من ذلك؛ لأنه يعني اتصال إسنادها إلى عصرنا هذا، لكن حكم عليها بالشذوذ؛ لأنها لم تتواتر نقلًا، وعزو القراءة للمطوعي من «الإتحاف» يعني أنه من قراءة الأعمش .

نبذة تاريخية عن القراءات القرآنية

أصل القراءات القرآنية

الأحرف السبعة

أولا: تقرير حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف»:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**»[1].

وعن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال: «**يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط. قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف**».

وفي الباب عن عمر، وحذيفة بن اليمان، وأم أيوب وهي امرأة أبي أيوب، وسمرة، وابن عباس، وأبي جهم بن الحارث بن الصمة، وعمرو بن العاص وأبي بكرة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي بن كعب[2].

حدثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثنا أبو مَعْمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج، قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا محمد بن جُحادة عن الحكَم ابن عُتيبة، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيّ ابن كعب، قال: أتى النبيَّ ﷺ جبريلُ، وهو بأضاة بني غِفَار، فقال: «**إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآنَ على حرف واحد. قال: فقال: أسأل الله مغفرَته ومعافاته - أو قال: ومعافاته**

---

(١) «صحيح البخاري» (ج ٤ / ص ١٩٠٩).

(٢) «سنن الترمذي» (ج ٥ / ص ١٩٤).

ومغفرته - سل الله لهم التخفيف، فإنهم لا يُطيقون ذلك. فانطلقَ ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين. قال: أسأل الله مغفرَته ومعافاته - أو قال: معافاته ومغفرته - إنهم لا يطيقون ذلك، فسل الله لهم التخفيف. فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرُك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال: معافاته ومغفرَته- إنهم لا يطيقون ذلك، سل الله لهم التخفيف. فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرَج، ولكن لا تختموا ذكرَ رحمة بعذابٍ، ولا ذكر عذابٍ برحمة»[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها. فقال له رسول الله ﷺ: «اقرأ». فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ؛ فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت». ثم قال لي: «اقرأ». فقرأت فقال: «هكذا أنزلت». ثم قال: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[3].

وعن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : «نزل القرآن على سبعة أحرف

---

(١) «تفسير الطبري» (ج ١/ ص ٤٦) وقال العلامة أحمد شاكر في تخريجه: إسناده صحيح.

(٢) «تفسير الطبري» (ج ١/ ص ٤٦) وقال العلامة أحمد شاكر في تخريج هذا الحديث: وهذا الحديث بهذا الإسناد واللفظ لم أجده في موضع آخر، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «صحيح البخاري» (٢ / ٨٥١)، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

على أي حرف قرأتم فقد أصبتم فلا تتماروا فيه فإن المراء فيه كفر»[1].

وعن أبي جهيم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال: **«القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء في القرآن كفر»**[2].

وعن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: **«نزل القرآن على سبعة أحرف»**[3].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أُنزل القرآن على سبعة أحرف»**[4].

وعن أم أيوب قالت: إن رسول الله ﷺ قال: **«نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك»**[5].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«أُنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ»**[6].

ونقل في نظم المتناثر عن السيوطي قوله في «إتمام الدراية بشرح النهاية»: فقد وصف جماعة من المتقدمين والمتأخرين أحاديث كثيرة بالتواتر منها حديث **«أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف»**[7].

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» (٤ / ٢٠٤)، وقال في «فتح الباري» (٢٦/ ٩) إسناده حسن، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

(٢) «مسند أحمد بن حنبل» (٤ / ١٦٩)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «مسند أحمد بن حنبل» (٥ / ١٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٤) «مسند أحمد بن حنبل» (٥ / ٣٩١)، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

(٥) «مسند أحمد بن حنبل» (٦ / ٤٣٣)، تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره.

(٦) «صحيح وضعيف الجامع الصغير» (٦ / ٣٢٣)، وقال السيوطي: رواه الطبراني، وقال الألباني: صحيح.

(٧) (١/ ١٧).

الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف

رحمة ومعافاة ونعمة ومعجزة

عن أبيّ بن كعب، قال: أتى النبيَّ ﷺ جبريلُ، وهو بأضاة بني غِفَار، فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآنَ على حرف واحد. قال: فقال: «**أسأل الله مغفرَته ومعافاته** - أو قال: ومعافاته ومغفرته - **سل الله لهم التخفيف، فإنهم لا يُطيقون ذلك**». فانطلقَ ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين. قال: «**أسأل الله مغفرَته ومعافاته** - أو قال: معافاته ومغفرته - **إنهم لا يطيقون ذلك، فسل الله لهم التخفيف**». فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرُك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: «**أسأل الله مغفرته ومعافاته** - أو قال: معافاته ومغفرَته - **إنهم لا يطيقون ذلك، سل الله لهم التخفيف**». فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ[1].

ورواه الترمذي بلفظ عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «**يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط**» قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قرأ رجل عنده: ﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم﴾ فقال أبو الدرداء: قل: «طعام الأثيم» فقال الرجل: طعام اليتيم. فقال أبو الدرداء: قل: طعام الفاجر[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (٥ / ١٩٤)

(٣) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٢ / ٤٨٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح

وعلى ما سبق ذكره تكون الحكمة من هذه الأحرف:

١ - ما أوضحه الحديث حيث في قول رسول الله ﷺ: «**قد بعثت إلى الشيخ الهرم والمرأة العجوز...**».

وهذا مثل لمن كان يصعب عليه أن يتكلم بغير لهجة قبيلته كما في الأثر السابق عن أبي الدرداء فقد كان الرجل يقرأها: طعام اليتيم فيعيدها عليه فلا يستطيع الرجل أن ينطق: ﴿الأثيم﴾ بل ينطقها: اليتيم فقال أبو الدرداء: ﴿طعام الفاجر﴾؛ فنطقها لأنها كانت لهجته التي لا يجيد غيرها، فانظر رحمة الله ﷻ في جواز القراءة بلهجة أخرى؛ لأن أبا الدرداء يقينًا يُقْرِئُهُ على حرف آخر ولم يغير كلمة ﴿الأثيم﴾ بـ﴿الفاجر﴾ من عنده، فكان المحافظة على المعنى بإجازة القراءة باللهجات أهم من إضاعة المعنى كما كان سيحدث في هذا المثال، ولعل هذا يتبين لنا في زماننا من اختلاف اللهجات في البلاد العربية؛ فهناك بعض الألفاظ في لهجة المغاربة قد لا يستطيع أهل الجزيرة النطق بها وكذلك العكس خاصة بين العوام.

ومن هذا ما شاهدته بنفسي أن أحد العرب من قبيلة هذيل كنت في مجلس معه بمكة -وكان عمره وقتئذ نحوًا من سبعين عامًا- وطلب منه بعض مَن في المجلس أن يقرأ سورة الفاتحة فقرأها حتى بلغ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾ فقرأها بضم الهاء ﴿عليهُم﴾ فأعاد عليه الحضور الكلمة بكسر الهاء كما هو شائع في كل البلاد الإسلامية في وقتنا هذا ﴿عليهِم﴾، ذلك أنهم كانوا يرون أن الرجل قد لحن في قراءة الفاتحة، وقد يخشى عليه البعض من بطلان صلاته عند بعض العلماء، فظلوا يكررون على الرجل

=

على شرط الشيخين و لم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

ليصحح نطقه بكسر الهاء وهو لا ينطقها إلا بالضم ، فقلت لهم : دعوه فهي قراءة متواترة عن حمزة ويعقوب. ثم قلت لهم : من الطرافة في الأمر أنك لو رجعت إلى كتب توجيه القراءات ستجد أن العلماء يعللون الضم في الهاء بدلًا من الكسر بأنه لهجة قبيلة هذيل، وهذا الرجل كان كذلك من هذيل، شاهدت هذا بنفسي فتيقنت من رحمة الله بالأمة إذ وسع عليها في النطق بالأحرف السبعة .

٢ - والسبب الثاني هو عصبية القبائل العربية في صدر الإسلام التي تدفعهم للالتزام بلهجتهم فلا يفارقونها، وقد تشاهد هذا الأمر إلى وقتنا الحالي أيضًا بين شعوب الدول العربية، فقد يرفض بعض المصريين أن يسألوا بكلمة (شو) ويرفض بعض أهل الجزيرة النطق بكلمة (بأى) أي: (بقي) باللهجة العامية المصرية وهذا تقريب لما كان بين العرب من هذا، وفي «المزهر في علوم اللغة»:

وقال القالي في «أماليه»: حدثنا أبو بكر بن دريد، حدثنا أبو حاتم قال: سمعت الأصمعي يقول: جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه؟ قال : وما هو؟ قال : بلغني أنك تجيز: «ليس الطّيبُ إلا المسكُ بالرفع». قال أبو عمرو : ذهب بك يا أبا عمرو ! نمت وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازيّ إلّا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلّا وهو يرفع.

ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى -يعني: اليزيدي- وأنت يا خلف - يعني خَلفًا الأحمر- فاذهبا إلى أبي المَهْدي فلقّناه الرفع، فإنه لا يرفع واذهبا إلى أبي المُنتَجع فلقّناه النصب فإنه لا ينصب.

قال : فذهبا فأتيا أبا المهدي فإذا هو يصلي فلما قضى صلاته التفت إلينا وقال : ما خطبكما؟ قلنا : جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب قال : هاتيا. فقلنا : كيف تقول: «ليس الطّيبُ إلاّ المسكُ؟» فقال: أتأمراني بالكذب على كَبْرة

سني؟! فقال له خَلف : «ليس الشرابُ إلاّ العسل. قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاكُ الأمر إلّا طاعةُ الله والعمل بها». فقال : هذا كلام لا دَخَل فيه، ليس ملاكُ الأمر إلاَّ طاعةَ الله. فقال اليزيدي : «ليس ملاك الأمر إلّا طاعةُ الله والعملُ بها». فقال : ليس هذا لحني ولا لَحْن قومي.

فكتبنا ما سمعنا منه، ثم أتينا أبا المنتجع فقال له خَلف : ليس الطيبُ إلّا المسكَ. فَلقّناه النصب وجهدنا به فلم ينصب وأبى إلاّ الرفع، فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح؛ فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال : ولك الخاتَم بهذا، والله فُقت الناس[1].

وذكر ذلك أبو حيان في «تفسير البحر المحيط»:

وليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب في نحو: «ليس الطيب إلا المسك»، ولا تميمي إلا وهو يرفع.

في ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ، ذكرناها فيما كتبناه من علم النحو[2]اهـ.

ولهذا كانت القراءة بالأحرف السبعة تخطيًا لكل هذه العراقيل التي تصرف عن الغرض الأساسي من إنزال القرآن الذي هو إيصال المعاني الشريفة في التوحيد والهداية في ألفاظٍ معجزةٍ خلابةٍ.

٣ـ وهناك حكمة أخرى هامة وهي إظهار إعجاز القرآن لكل القبائل؛ إذ قد تدعي بعض القبائل أن لو كان القرآن بلهجتها ولغتها لاستطاعت الإتيان بمثله، فثبت عجز كل قبائل العرب.

---

(١) «المزهر في علوم اللغة» (٢ / ٢٤١).
(٢) (١٠ / ٤٣).